



## «ما ودّعك صاحبك»... طرق لأبواب المدن... قليل من ألم فراقها وكثير من حبّ عوالمها

هبة جناد

شجرة متشعبة الأغصان طويلة الأوراق، تتدلى على الغلاف ذي اللونين الأبيض والأسود، توحى بألم صامت لا تنطوي عليه صفحات «ما ودّعك صاحبك» (رواية صادرة عن دار النهضة العربية للكتابية لينا كريدية).

يطالعنا في بداية كلّ فصل نصّ مقتبس من أحد الكتب المقدّسة لدى طوائف وأديان مختلفة، من أنجيل يونا ويطرس ولوقا والقرآن، إلى مصحف رش وكتاب الجلو (الكتابان المقدسان لدى الأيزيديين) والريجندا واليهافاغاد (لدى الهندوس) وكذلك مزامير داود. إضافة إلى نصوص لشعراء عرب وكرد، وجاعلة إياها بمثابة عناوين قد لا تتوافق مضامينها مع ما تحتويه الفصول.

هي رواية سردية بامتياز، تخلو تقريباً من الحوار، وتعجّ بشخصيات تدربها الكتابية سيكولوجيا متناولة الجانب الاجتماعي في حيواتها أيضاً، لتضعنا في مسيات سلوكها الذي يرويه أوس (بطال الرواية)، ذاكراً إياها كحوادث عابرة تارة، أو إيقالاً في وصفها كإهداء لإضفاء الواقعية عليها تارة أخرى، وجاعلة منها في بعض الأحيان مبرراً لسلوكها المستكين أو الشرس.

لا تترك كريدية تساؤلات لدى القارئ: هي تروي على لسان بطلها رحلاته من لندن إلى السعودية إلى أربيل مروراً بليمان. ولا يبدو أنه في النهاية سيستقرّ في إندونيسيا. إذ ودّعنا الرواية في غفلة منا حيث انتهى به المقام، في ما يشبه أربيل، من دون أن تنتمي الرواية إليه. إذ أن الوقائع ليست حقيقية أو على الأقل ليس جليها كذلك. كمّ من المعلومات الخاصة بأعراف منطقة ما وعادات أخرى، تقاليد طائفة معينة وقائد شعوب مختلفة تنثر في جميع أرجاء الرواية، يتمّ بعضها عن رسائل تحاول الكاتبة من خلالها تحريض ذهن القارئ على التفكير، كذلك التي يشير إليها حسن الأيزيدي صديق أوس في معرض حديثه عن معتقدات طائفته: «الأيزيديون مقتنعون بأنهم من سلالة آدم منفرداً لذلك هم أنقى البشر وبالتالي يحرم عليهم الامتزاج بالسلالات الأخرى أي باقي البشر الذين هم سلالة آدم وحواء مجتمعين بعد اتصالهما وتناسلها وإنجابهما قاييل وهابيل». فيما يفكر «أوس كريدية»: «أنا لا تتفكّرني فكرة المفاضلة، فكّم من عبارة أعرّفها نومم بالتعالى، شعّب الله المختار (أي اليهود) وخير أمة أخرجت للناس ومقولات هلتر بحق الألمان بأنهم أفضل عرق آري وغيرها». وفي ما خلا ذلك، لا مفاهيم جدلية ولا أسئلة وجودية تؤرّق القارئ ولا عقدة ولا حل. فهي ليست رواية درامية أيضاً، هي فقط توالي «مذكرات» إن صح القول تعيشها مع أوس...

أوس، الشخصية المترددة والجريئة في أونة واحدة، والقوية والعاطفية كذلك، المغامرة والباحثة عن هدف لم تعرّف - وكذلك هو - إليه. هو المسكون بالهواجس والكوابيس التي لا تفرقه في معظم لياليه. نراه مولعاً بالقراءة ويهوى فن الطبخ، منقناً وصف الخصار، مسطفا عليها صفات بشرية، جاعلاً منها موضوعاً لشخصيات كثيرة ذاتها كريدية على أرض الواقع، ودرستها ولم تتسع صفحات الرواية لتفرد لكل منها دوراً ووظيفة يؤديهما في النصّ، فاهتمام البطال بالنسبة الخضار لا يبرز إلا مزيداً من رغبة الكاتبة في إقحام كل أنواع البشر في نصّها من الخوض في علاقات عميقة مع كل منها، مكتفية بإبراز صفاتها وسلوكها (المسببات والنتائج).



علاقات أوس باصدقائه الذين تعرّف إليهم في حلّه وترحالها، تبدو سطحية متصرفة على جلسات ومناقشات وردود فعل. هي علاقات تحكمها الظروف. فهو في بيروت صديق عاشر ومحمود وإبراهيم، وتحكم حياتهم الراتبية، لا يغير منها سوى تقلب الأحداث الأمنية والسياسية، أو الرجوع بالذاكرة إلى أيام الطفولة من دون أن تغفل الحرب الأهلية عن تشكيل جزء من ذاكرتها. وكذلك بدء الثورات العربية والحماسة الكبيرة لها، لا سيما من قبل البطال الشاب الحالم بالحرية والكرامة. أحاديث الأصدقاء هنا تحاكي تماماً مناقشات الشباب في العالم العربي، خصوصاً في الدول التي اشتعلت فيها ثورات، فبين مؤيد للحلم الكبير ومتروفي الحكم وخائف من مستقبل ثوار أطغاهم حبّ السلطة فسركتهم الفوضى، وبين من لا يابه لأمر أصلاً. الكاتبة تصور بدقة تراكم الصور وتراكمها وتغيّر المفاهيم في العقل الجمعي للشباب متابع الأحداث بدءاً بباردة الإصلاح، ثم الشعور بالغبن نتيجة كبحها، وصولاً إلى تبرير العنف بل الاستمتاع به. لولا أن بطلنا مثقف يساعده وعيه في مراجعة

## البناء

النفس، فتراه يقول بداية: «كانت سعادتنا لا توصف ونحن نستمتع بمشاهد التعذيب والإعدام السريع، وحملنا التفاعل والانفعال بعيداً جداً، إلى أبعد من الفرح بالانتصار بكثير، فُرِحنا نحاول الحصول على المقطع لحظة تصويب المدسدس إلى رأس القذافي وإطلاق النار عليه... ما إن خمدت الحماسة وهذات النفوس حتى واجهت نفسي، هل هذه هي حقيقتي؟ هل هذه هي ثقافتني التي اتغنى بها أنا؟... أحزن على نفسي، فلقد أنجرت خلفها أو جررتها حيث لا طائل... ثم يعود ليخلص إلى أن: «تسونامي الدماء أفقدني حماستي القديمة للثورات... ثورة سورية هي الأكثر دموية، حصلت على عرش الوحشية بامتياز». الحرب تؤرّق أوس حتى السطور الأخيرة في الرواية، هو مثل كل مواطن يصل إلى قناعة بأن «الأكهبة نفسها تخسر في الحروب».

أوس «الطائفي والملازمي واللاإثني»، لا يسافر إلى مدينة إلا ويذكر الطائفة الغالبة فيها، وعلى رغم حبّ الكبير لأصدقائه وذكره تفاصيل لحظات عاشها معهم وتأثر بها، إلا أنه لا ينسى أن يذكر طائفة كل منهم أو أن يلمح إليها. إذا كان النصّ مجموعة من إشارات تتعلق ببنويته، فهل نفهم من الفكرة أنّ أوس أحب أصحابه ومواطنيه بغض النظر عن انتماءاتهم؟ وإذا غُضّ النظر حقاً فلم ذكرها؟ أم أنّ في ذلك دلالة على تغلغل هذه المفاهيم الاجتماعية في أبناء «مجتمعاتنا»؟ على أن أوس لا يبدي أيّ تأييد لأيّ مظهر من مظاهر الطائفية أو العرقية أو العنصرية، فهو أحب ليزا الإندونيسية، وشعر بالخجل عندما لفت نظره عصام الكردي صديقه في أربيل، إلى أن العرب يستعملون في لغتهم العربية المحكية كلمة «استكراء» للدلالة على الوضاعة والدونية وهذه عنصرية لفظية. وهو يعرض برضى أو ربما فخر أن لاسم عائلته ثلاث روايات حول أصل نسبها: «تقول الرواية الأولى، إنه قدم أتوا من شبه الجزيرة العربية من قبيلة الكريديين، فهم عرب أفتح. وفي رواية ثانية إن الأصل منحدر من سلالة صلاح الدين الأيوبي من ابنه المظفر، أي أنهم أكراد لا عربياً. أما الرواية الثالثة فتقول إن رجال بحاراً في الزمن الغابر قد أتى من جزيرة كريت اليونانية، وحين استقر به الأمر وعمل في مرفأ بيروت صار الناس ينادونه بالكريتي... ومن هنا جاء اسم العائلة»، وهو يشعر بالسعادة حقاً في أربيل عندما ينادونه بـ«كريدية»، وتعني «الكردي الصغير» في اللغة الغربية. وهنا يراودنا السؤال نفسه: هل للرجل اللازمي أن يبتهج بأدعاء أصل (ليس متأكداً منه) أمام أصدقائه الأكراد ليكون أقرب إليهم؟ أم أن ذلك إشارة من الكاتبة إلى عدم انسلاخ المرء في بلدانها عن هذه المفاهيم المهترئة مهما أعرض عنها؟

النساء في حياة أوس لذّة والجنس، حتى (دائبة وليزا) لا نجد ما يدفعه إلى عشقهما والاستمرار معهما، هما فقط لتنضية الوقت بحكم إعجابها بكل منهما، ويفعل الشفقة أحياناً من دون أن تتطوّر إلى مشاعر عشق وولع. ويقي هو بانتظار حدث ما أو معجزة يغيران واقعهم ويلبسان طوحه، بانتظار حبّ «يهز كياني، ويغير خرائطي الجغرافية».

فضول البطال وتغير المعرفة وعوضه في العقائد والمفاهيم الدينية والتشابهات والاختلافات، يخلصان به إلى نتيجة منطقية مفادها: «هو الفعل نفسه برؤى ونتائج مختلفة».

ما يميّز الرواية، سلسلة الانتقال بين الأماكن، فمن حرّ السعودية إلى برد أربيل إلى أجواء الصيف المرحة في إندونيسيا، وكذلك عدم تخيير جو من الملل على رغم عدم وجود محور جوهري يمثّل لبّ نصّ لا ينتهي على أي حال إلى الأدب المعني أيضاً. إضافة إلى خلوّ الرواية من التشويق، ومع ذلك لا يشعر القارئ بالأسام.

## ثقافة

### الكلمة الثقافية



### رحيل الكاتب الأوروغوياني إدواردو جاليانو

غيب الموت الكاتب والصحافي الأوروغوياني إدواردو جاليانو عن عمر ناهز 74 سنة، وقالت صحيفة «البايس» الإسبانية إن الكاتب كان يعاني من مرض سرطان الرئة. وذاع صيت جاليانو بعد إصداره عام 1971 كتاب «فتح أوردة أميركا اللاتينية»، الذي يعتبر رواية كلاسيكية في الأدب الأميركي اللاتيني. وترجمت الرواية إلى عشرين لغة. يذكر أنّ رئيس فنزويلا الراحل هوغو تشافيز أهدى عام 2009 رواية «فتح أوردة أميركا اللاتينية» للرئيس الأميركي باراك أوباما. وعلق مؤلف الرواية إدواردو جاليانو حينذاك قائلاً إن أوباما لن يقرأ الكتاب، إنما قدّمه له رئيس فنزويلا بنوايا طيبة. وأبدع جايانو أكثر من عشرة كتب أصدرها في كل من الأرجنتين وإسبانيا وأوروغواي.

### دراسات وأبحاث في الحياة الموسيقية... جديد الدكتور سهيل الملاذي

جمع الدكتور سهيل الملاذي الدراسات والبحوث التي نشرها في مجلة «الحياة الموسيقية» التي تصدرها وزارة الثقافة السورية، وقدمها في كتاب عنوانه «دراسات وأبحاث في الحياة الموسيقية»، بهدف نشر الوعي حول أهمية الموسيقى والغناء عند العرب، ودورها في إغناء التراث. ولفت في مقدّمة كتابه إلى ضرورة تصحيح الأفكار المغلوطة لدى بعض الناس عن هذين الفنين الراقيين، مشيراً إلى أن بعض الناس ما زالوا يرون في الموسيقى والغناء انصرافاً عن الدين. حتى أن بعض الناس يتطوّر عن يرون فيها إلهاداً، مستذكراً في هذا الصدد سؤالاً غريباً طرحه عليه أحد الشباب الجامعيين عما إذا كانت الموسيقى تعتبر حراماً.

كما يأتي الكتاب رداً على من يقول إن العرب يفتقرون إلى تراث موسيقي، موضحاً «أن كثيرين الآن يجهلون أو يتجاهلون أن الموسيقى والغناء مؤكّنان حضاريان من مكونات تراثنا الثقافي والفني... وما هذا الجهل أو التجاهل إلا بسبب تقصير بحثنا ودراساتنا المعاصرة في تسليط الأضواء على الموسيقى والغناء عند العرب منذ العصور الإسلامية الأولى، وفي إبراز دورهما التاريخي في إغناء الثقافة العربية وتراثها الملاذي».

ونوّذ الكاتب بالدور المميز الذي قامت ولا تزال تقوم به المؤسسات الثقافية السورية في هذا المجال، كندسية المسارح والموسيقى، والمعهد العالي للموسيقى، والمعاهد الموسيقية المتعددة المنتشرة في سورية، والجمعيات والنوادي الموسيقية المختلفة، إضافة إلى ما يقام من ندوات ومحاضرات ومهرجانات موسيقية وغنائية وغير ذلك.

لا يتكر ملاذي أنّ المراجع والمصادر والمخطوطات والكتب عن هذا الموضوع قليلة، «غير أنها على قنّتها، ستساعد في المزيد من الدراسات والبحوث والكتب التي تفيد في نشر الوعي حول أهمية الموسيقى والغناء عند العرب، ودورها في إغناء التراث الثقافي» الفني العربي، لعل ذلك يصحّح الأفكار المغلوطة السائدة لدى بعض الناس عن هذين الفنين الراقيين».

وتضمّن الكتاب (195 صفحة)، ثمانية فصول تتحدّث عن الغناء والموسيقى عند العرب، بين الجاهلية والإسلام، الموشحات الأندلسية في الأندلس، مع ملحق يتضمّن نماذج من هذه الموشحات. والغناء العربي المنقن وأعلامه في حلقتين. يذكر أنّ الدكتور سهيل الملاذي من مواليد مدينة جرابلس عام 1941، ويحمل دكتوراه في اللغة العربية. عمل مديراً للثقافة في دمشق لمدة تسع سنوات، وهو عضو في اتحاد الكتاب العرب، وله عدد من الكتب منها «الطباعة والصحافة في حلب» و«الاتجاهات الفكرية العربية في الصحافة».

### محاضرة عن الكنوز الأثرية في دير مار مارون

ضمن سلسلة كنوز التراث السوري، ألقى الدكتور جورج نحاس محاضرة بعنوان «كنز دير مار مارون الأثري في حماة»، وذلك في القاعة الشامية في المتحف الوطني - دمشق.

وأشار الدكتور نحاس إلى أن حماة تعد من أقدم المواقع الأثرية في العالم، إذ وجدت فيها واحدة من أهم المستوطنات في العالم القديم، مشيراً إلى أن حماة معروفة عبر التاريخ بأثارها المسيحية والأثرية.

وقال إن من أهم الآثار التي اكتشفت في حماة، كنيسة السيدة مريم العذراء التي تحوي فسيفساء ذات أهمية كبيرة. لافتاً إلى أن هذه الفسيفساء تمثل مراكب لصيد السمك، وبعض الرموز الدينية التي تقع قرب الكنيسة العادلية. ولفت نحاس إلى أنّ الاكتشافات الأثرية كشفت عن وجود مسيحيّ وكنائس كبيرة في حماة، كان من أهمها اكتشاف دير مار مارون. موضحاً أنّ الاكتشافات الأثرية في كنيسة السيدة العذراء أظهرت بالمصادفة، قطعاً أثرية وُجدت في الرواق الشمالي، بعد رفع الانقاض عن البلاط.

واعتبر نحاس أن كل ما يتعلق بتاريخ الدير اكتشّف من خلال القطع الفضية في الكنيسة، مقدّماً شرحاً مفصلاً عن هذه القطع، إذ شملت أباريق وصلباناً مطعمه برسومات تمثل المسيح ومريم العذراء ومعمودية المسيح، والولادة والبطشارة والصعود إلى السماء.

وأشار الدكتور محمود حمود، مدير آثار ريف دمشق، إلى أهمية إلقاء الضوء على المناطق الأثرية السورية من خلال هذه المحاضرات، خصوصاً دير مار مارون الأثري الذي يعدّ من أقدم المناطق الأثرية في سورية وأعرقتها. وأقيم على هامش المحاضرة، معرض للكتاب ضمّ مجموعة من الكتب المتحدّثة عن الآثار، ومعرض صور ضوئية للقطع الأثرية الزجاجية التي اكتشفت في محافظة ريف دمشق.

### «أميرة الروم»...

### مشهدية سينمائية بتقنية عالمية

تحمل الفراشة رسالة الأمل بمن سيأتي ليخلص البشر من الظلم وينشر العدل في العالم، هي المنبغعة من حقول الضوء إلى حيث يسجد زهر النرجس خاضعاً في مناجاته الخالق. أجنحة الفراشة، دليل الأطفال ورفيقتهم وبياعة الإطمئنان عند «أميرة الروم»، «السيدة مليكة بنت يشوعا ابن القيصر»، وتحاول أن تساعدها في بحثها عن طريق العدالة، على رغم وجود الخفافش عاشق الظلام، والذي يسعى إلى منع الفراشة من أداء مهمتها.

فيلم «أميرة الروم»، يستند على رواية دينية، لذلك يمكن وضعه في خانة الأفلام الموجّهة بشكل مباشر لفئة محددة، لا لجميع الأطفال. إذ إن الثقافة الدينية ليست واقعاً معمّماً على شرائح المجتمع كافة. وهنا يكمن الضعف في مقدرة العمل على الانتشار على رغم براعة الجهة المنتجة في تحقيق الإبهار المشهدي من خلال حركة الشخصيات الكرتونية وبعض المشاهد الطريفة التي تجذب عين الطفل الباحثة عن الخيال. ولعلّ درب المنافسة السينمائية في هذا الإطار تتطلب الخروج من الدائرة المغلقة إلى عالم أكثر رحابة، بعيداً عن التسميات.

الفيلم الذي عُرض منذ أيام في إحدى قاعات مركز «رسالات»، مدته 75 دقيقة، وهو يعود إلى فكرة لطائف العمل في مجلة «مهدي»، ومن إنتاج جمعية «كشافة الإمام المهدي» ومركز بيروت الدولي للإنتاج الفني، بالشراكة مع المؤسسات المنفذتين «هفت سنك» و«سلوك أفلاكيان» من الجمهورية الإسلامية الإيرانية. وأنجز هذا العمل، بعد سنتين ونصف السنة من الجهود المتواصلة عبر فريق متخصص زاد عن 100 فرد من ذوي المؤهلات العالية.



هذه المساهمة مخصصة للأفلام الشابة والمبدعة في مجال الشعر وستكون أسبوعية، بحيث نستقبل مساهماتكم باستمرار على البريد الإلكتروني التالي: ahmadtay999@hotmail.com

### قمانا لكم



### اختمار الحنّاء

يتكاثر جفائف الغمام  
تشبك الأوتار  
مع الاستلاب  
وأماجد تراث الحضارات  
تشبك مع الأرقاع  
ومع غمغمت خطايا الغزاة.  
\* \* \* \* \*  
زفحت النعطيّة  
بتعاسة سرابيّة  
على جسيدي ربيع بلا جدوال  
وتمازجت مع أوهام الرذاز،  
صفرة المعابد.  
\* \* \* \* \*  
سائل الانتفاخ  
لم يتجاوب من شرايينها  
تقلصت أمداً مهابطها  
كزفير المفصلات  
احتفاءً بموتاهما  
تركت مخاوف دءاءاتها  
دامها الضدّ وتقلبات ألوان فصول  
معاناتها.  
\* \* \* \* \*  
الهواش المتنفذة،  
هيمة الانتماآت الفاسدة،  
عتمّة النعمية السدامة  
وغير بذاخة كوارث،  
ضجيج الخطباء  
تحت ظلال الدراري  
وفوق ارتجاج المنضات  
كنعش قحبة  
تقاسمت جميعها  
حتى فئات تياريحها.  
\* \* \* \* \*  
نسماّت انهداشات  
المتعة المعذبة  
وركامات نفايات العقائد  
المهيمه،  
تشويشات الخمول  
مع خلايا الانفعال  
تحاصر ملامح الذاكرة  
يتقدّم حضور نسيجها  
بغيبه الإنكار  
تنهز لذات من هواجسها  
المشرومة  
ومن مسخها البازغ  
ومن محررات العناء  
(الناصرة، فلسطين)

### ولادة وصمت

وصراع بيئي، وطفولتي، ومجتمع  
أعمى، من أجل الألعاب  
حرف أنا... كتبه الزمن  
قَبَلَه القلم  
وكم كان يغفو في أحضان السراب  
صمت أنا! مسعته القلوب  
رذده العصفور  
احتضنه التراب  
رضعت التجارب من أمي القصيدة  
فشكراً يا أبي الكتاب!

### آية ناصر

ولدت من رحم الكلمة  
تنفّست برثة العذاب  
شهيقي ألم... زفير ظلم  
لماذا يا زمن؟  
السؤال جواب؟  
نصب الليل لي أرجوحة  
فتأرجحت بين ظلماته والكتابة  
وحدها، آيات الشعر كانت ماوى  
لقبلي